

﴿وَسَأَلَ الْقُرَيْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ عن مسألتنا ﴿وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم كلهم يشهدون لنا: ﴿وإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ حتماً فيما نقول ونشهد.

ولكن ذلك شهادة بحكم الشرعة بما علموا، فكيف يشهدون بالسرقة بما علموا كما يدعون وهي بحاجة إلى شهود السرقة، فلكلّ مشهود به شهادة تخصه، كما ويندد يعقوب بشهادتهم هذه:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً...﴾ سولت أمر السرقة في أخيه حين قلتم فيما شهدتم:

﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلٍ...﴾ شهادة ذات بعدين بعيدين عن أي علم أم أية حجة شرعية، فكيف شهدتم أن يوسف سرق من قبل، ثم كيف شهدتم أن أخاه سرق بمجرد ما وجدتم الصواع في رحله، وعلمهم جعلوه في رحله ليأخذه، فلم تكن هذه الشهادة لا عن شهادة ولا عن علم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً...﴾.

هنا علم، وهناك شهادة، وهناك غيب، فنحن وإن كنا لا نؤمن بالغيب، فإن أمره بيد من يعلم الغيب، ولكن الشهادة هي عوان بين العلم والغيب، وأكثرها توافق الغيب، فالعلم غير المسنود إلى شهادة وحضور في المعلوم المشهود به، قد يحصل من تسويل نفس، ممن له نكايه على المشهود، فيحصل له علم بقرائن غير قطعية، وحتى إذا كانت بقرائن قطعية فليست كالشهود لدى الجريمة، فلا حجة فيه على المتهم بجريمته.

وكما أن الشاهد لدى الحاكم ليست له شهادة بعلم إلا سناداً إلى شهوده وحضوره على شروطه، كذلك الحاكم نفسه ليس له حكم بعلمه، إلا بشهادة صالحة، وكما هو ثابت بنصوص الكتاب والسنة.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَءِذَا نَكَرْنَا لِيُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾<sup>(١)</sup>

(١) هنا تستمر التوراة في القصة تاركة قصة رجوعهم إلى أبيهم بإبقاء بنيامين عند يوسف قائلة بعد ذكر التماسهم أن يرسل معهم أخاهم: «فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده فصرخ اخرجوا كل إنسان عني فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف اخوته بنفسه فأطلق صوته بالبكاء فسمع المصريون وسمع بيت فرعون وقال يوسف لإخوته: أنا يوسف احيي =

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣):

﴿قَالَ﴾ ليس كما تزعمون ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ فلا علم هناك ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ وزينته فأصبح علماً عن تسويل فهو ظنة رديئة ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وهي كلمته الأولى يوم فقد يوسف، ولكنه هنا يضيف إليها وطييد الأمل: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ والجميع هم الأخوان وكبيرهم الذي ما برح الأرض ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ مما يدل على أنه بعد راج في حياة يوسف و﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يأتي على لسانه أول ما أول رؤياه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ... إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١) وفيما هنا ثاني مرة،

= أبي بعد؟ فلما استطع اخوته أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه - وقال يوسف لإخوته تقدموا إلي فتقدموا فقال: أنا يوسف أخوكم الذي بعموه إلى مصر والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعموني إلى هنا لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم لأن للجوع في الآن سنين وخمس سنين أيضاً لا يكون فيها فلاحه ولا حصاد فقد أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقي لكم نجاة عظيمة فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله وهو قد جعلني أبا لفرعون وسيداً لكل بيته ومتسلطاً على كل أرض مصر. اسرعوا واصعدوا إلى أبي وقولوا له هكذا يقول ابنك يوسف: انزل إلي لا تقف فتسكن في أرض جالسان وتكون قريباً مني أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك، وأعولك هناك لأنه يكون أيضاً خمس سنين جوعاً لئلا تفتقر أنت وبيتك وكل مالك وهوذا عيونكم ترى وعيناً أخي بنيامين أن فمي هو الذي يكلمكم وتجزون أني بكل مجدي في مصر وبكل ما رأيتم وتستعجلون وتنزلون بابي إلى هنا ثم وقع على عين بنيامين أخيه وبكى وبكى بنيامين على عنقه وقبل جميع اخوته وبكى عليهم - ثم تقول - : أنه جهزهم أحسن التجهيز وسيرهم إلى كنعان فجاءوا أباهم وبشروه بحياة يوسف وقصوا عليه القصص فسر بذلك وسار بأهله جميعاً إلى مصر وهم جميعاً سبعون نسمة ووردوا أرض جالسان من مصر وركب يوسف إلى هناك يستقبل أباه ولقيه قادماً فتعانقا وبكى طويلاً ثم أنزله وبنيه وأفرهم هناك وأكرمهم فرعون إكراماً بالغاً وآمنهم وأعطاهم ضيعة في أفضل بقاع مصر وعالهم يوسف ما دامت السنون المجدبة وعاش يعقوب في أرض مصر بعد لقاء يوسف سبع عشرة سنة.

أقول وهذا كله ملخص ما فصله التوراة يقارن بما في القرآن ليرى البون البعيد بين الكتابين.

(١) سورة يوسف، الآية: ٦.

ثم يوسف هو الذي يثلثهما عند اللقاء: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ...﴾ ﴿١﴾ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ وذلك مما يوحي بتأكد الرجاء وأن المرجو قضية علمه تعالى وحكمته.

أتراه يرجوه بما أوحى إليه؟ عله نعم، وعله لا، حيث الرجاء بالله والأمل الوطيد في الله شعور يتجلى دوماً في قلوب الصفوة المختارة، لا سيما وهو الذي أول رؤياه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ﴾ ولكنه أمل راجح دون يقين، فعله يجتبيه دون علمه بمكانه، وعله ميت الآن بعد تحقق رؤياه، ولكن العلات على علالاتها ليست لتزلزل من صرح رجاءه، وقد يأتي نبأ علمه بحياته بعد حين في آيته: ﴿يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ...﴾.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٨٤﴾:

هنا يختص يوسف بذكره إذ لا يتأكد بعد من حياته أو أن يأتيه، ولكن أخاه وكبيرهم بعد موجودون بمكان معلوم، ثم ويوسف هو القمة العالية الغالية في حبه، وما فاصل الزمان البعيد بالذي ينسيه، لا سيما والحادث الجلل الجديد يذكر جلل القديم.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ اعتراضاً عليهم وإعراضاً عنهم، منقطعاً إلى الله ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ إذ ما هونت من مصابه طائل السنون، والنكبة الجديدة في أخيه ثم كبيرهم تجدده أكثر مما كان طيلة السنين، وذلك غاية الأسف والأسى على أعز الأبناء وأغرمهم الذي تتلوه غائلة فوق غائلة، فهنا ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ حيث أذهب الحزن بسواده فانظّم في سائر بياضه، ولكنه على حزنه الذي بلغ به إلى العمى لم يكن ليذكوا حزنه إلى أحد إلا لله

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

﴿فَهُوَ كَبِيمٌ﴾ غيظه وحزنه وعن سوى الله، هضم عبء مصابه لله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ ممن أحزني وخانني لا من الله.

أترى أن الحزن، وعلى أثره البالغ منه: ابيضاض العين، ذلك لا يلائم الصبر الجميل؟ إنه لو كان شكوى من الله لخرج عن الإيمان بالله، فضلاً عن الصبر الجميل، ولكنه إذا كان شكوى إلى الله من بأس الظالمين، فهو قضية الإيمان، وصبر جميل، حيث لم تخرجه عن الرجاء بالله والأمل في رحمة الله.

وفي نائبة يوسف واجهتان، من إخوته خيانة وظلماً حسداً من عند أنفسهم، ففيها ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ . . . .

وأخرى تجاه الله وفيها ﴿فَصَبَّرٌ جَمِيلٌ . . . فَهُوَ كَبِيمٌ . . . إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . . .﴾ ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّبُوا مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ . . .﴾ وكلتاها قضية الإيمان، رحمة أبوية على أفضل أولاده، ونقمة على حاسديه، وثقة وإيماناً بالله ورجاء به ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ .

قد صدق رسول الله ﷺ في قوله: «كان له من الأجر أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل أو نهار»<sup>(١)</sup>!

(١) الدر المنثور: ٤: ٣١ - أخرج ابن جرير عن الحسن عن النبي ﷺ أنه سئل ما بلغ وجد يعقوب على ابنه؟ قال: وجد سبعين ثكلى، قيل: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد . . .

في نور الثقلين ٢: ٤٥٢ عن القمي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال له بعض أصحابنا: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى، فيه في الخصال عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ قال: كان علي بن الحسين ﷺ يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة - إلى أن قال - ولقد بكى على أبيه الحسين ﷺ عشرين سنة ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: يا بن رسول الله ﷺ أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له =

وما هو موقف الفاء في ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾؟ عله كعلة ل ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾  
فالحزن الظاهر المتظاهر يخفف عبء الباطن المتكاثر، وأما إذا كان  
مكظوماً لا يظهر، فهو صادر عن القلب ووارد في القلب، فيحرق القلب  
ويؤثر على القلب، ولماذا ﴿عَيْنَاهُ﴾؟ طبعاً لمزيد البكاء، وطبعاً أبيض سائر  
شعره مع عينيه، واحدودب ظهره، وكل ذلك لعظم الحزن وأنه كظيم لا  
يظهر حزنه.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ  
الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥):

﴿تَفْتَأُ﴾ هنا منفي بأداته المحذوف (لا)، المدلول عليها، بترك اللام  
ونون التأكيد في جوابه، فإنهما لزمان الجواب القسم في الإثبات.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ﴾: لا تنقطع ﴿تَذَكُرُ يُوسُفَ﴾ أسفا حزينا كئيباً،  
كلمة حانقة خانقة مستنكرة، ظاهرها فيه الرحمة تعطفاً على أبيهم، وباطنها  
من قبله العذاب تنديداً شديداً بأبيهم، كيف يأسى على يوسف الفقيد منذ  
سنين؟

تدأب في ذكر يوسف ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: مشرفاً على الهلاك كما  
هلكت عيناك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ والحرص ما لا يعتد به ولا خير  
فيه، وهذه هلركة الإنسان في كيانه قبل هلاكه بموته، فلا هو حي كالأحياء،  
ولا ميت كالأموات! وهكذا يتظاهرون لأبيهم في مظهر الناصح المشفق ألا  
يتذوّب بذكر يوسف الفقيد حيث ذهب دون عودة، ولكنه يرد عليهم رداً  
حازماً حاسماً جازماً: أنه لا يشكو إليهم ما كان منهم ولا يجزع لديهم:

= ويحك أن يعقوب النبي ﷺ كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله عنه واحداً منهم فايضت عيناه من  
كثرة بكائه عليه واحدودب ظهره من الغم وكان ابنه حياً في الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي  
وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦):

البث المقارن للحزن هو الحزن المبتوث حين يغلى مرجه فينبث باختيار ودون اختيار، حيث يظهر في ملامح الوجه وفلتات اللسان ومعارض الأركان، والحزن همّ دونه حيث يملك ستاره، وشكوى البث والحزن هي الاختياري منهما وقد اختاره يعقوب ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا سواه، لمكان «إنما» فلا يشكوهما إلى أحد حتى أهله وولده، وهذه هي قمة الشعور بمقام الربوبية في قلب منقلب إلى الله، موصول النياط بالله، في لألاء باهر وجلال غامر.

فليس بعد الزمان، واستنكار الولدان لذلك التطلع الدائب بعد هذا الأمد البعيد، ليس هما وأمثالهما من مؤيسات بالتي تؤثر في أمل الرجل الصالح الواثق بربه، فإنه يعلم من الله ما لا يعلمون هؤلاء المحجوبون.

ولذلك يدأب في شكواه بثا وحزناً إليه، ويمضي حياته عليه، ولحد ابضاض عينيه من كمد البكاء دون لفظة قول ولا لحظة عين ولا أية إشارة في شكواه إلى غير الله، وهنا نضرب بالرواية القائلة خلاف الآية عرض الحائط حين تقول: كتب يعقوب بكتاب له إلى العزيز يشكو فيه كل شكواه، فحتى لو كان يعلم أنه يوسف ما كان له أن يشكو إليه، ولكنه لم يعلم<sup>(١)</sup> أنه هو فكيف يشكو إلى العزيز الذي هو بطبيعة الحال مشرك ويستجده ويسترحمه في نفسه؟ ويطلب منه أن يتصدق عليه وقد قال رسول الله ﷺ: «من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة أنزلت به فإنما يشكو الله ومن تضعع لغني لينال من دنياه

(١) نور الثقلين ٣: ٤٦١ ج ١٨٢ في أمالي شيخ الطائفة بإسناده إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: فلما كان من أمر، أخوة يوسف ما كان كتب يعقوب إلى يوسف وهو لا يعلم أنه يوسف...

أحبط الله ثلثي عمله...»<sup>(١)</sup> «ومن بث لم يصبر»<sup>(٢)</sup> وقد قال يعقوب ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فقد صبر جميلاً ولم ييثر إلا إلى الله لا سواه، وهكذا يكون من عند الله، مطمئناً بالله، مجاهداً في الله، جاحداً لغير الله إلا في أمر بأمر الله، وكما أمرهم:

﴿يَبْتَغِيْ اٰذْهَبُوْا فَتَحَسَّبُوْا مِنْ يُوسُفَ وَاٰخِيْهِ وَلَا تَأْتِسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ ﴿٨٧﴾﴾:

فليست الثقة بالله والتكلان على الله بالذي يبطل التوسل بالأسباب، ويعطل ابتغاء الوسيلة إلى رحمة الله وكما قال الله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ﴾<sup>(٣)</sup>! وهنا يتجلى - وضح الشمس في رابعة النهار - أنه كان على علم بحياة يوسف<sup>(٤)</sup> وطبعاً بوحي من الله، وكما أول رؤياه في الأول: ﴿وَكٰذٰلِكَ يَجٰنِبُكَ رَبُّكَ . . .﴾ وقد كرر قوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لما ارتد بصيراً: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فكان مما يعلم من الله حياة يوسف!

وكان التحسس والتجسس سواء في معنى التفتيش لكنما الأول في غير

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١ - أخرج البيهقي في الشعب عن أنس قال قال رسول الله ﷺ وفي آخره: ومن أعطي القرآن فدخل النار فأبعده الله.

(٢) المصدر - أخرج ابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: .. ثم قرأ الآية.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٤) نور الثقلين ٣: ٤٥٥ ج ١٦٦ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة وقال الصادق عليه السلام أن يعقوب قال لملك الموت: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرقة؟ قال: بل متفرقة، قال: فهل قبضت روح يوسف في جملة ما قبضت من الأرواح؟ فقال: لا، فعند ذلك قال لبيته: ﴿يَبْتَغِيْ اٰذْهَبُوْا فَتَحَسَّبُوْا . . .﴾ [يوسف: ٨٧] ورواه مثله في العلل بإسناده إلى حنان بن سدير عن أبيه قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: ..



شر والثاني في الشر، فالتفتيش عن عورات الناس وأسرارهم المخبوءة التي لا يرضون كشف الستر عنها هو التجسس، وقد منع عنه باتاً ﴿وَلَا بَجَسُوا﴾<sup>(١)</sup> وأما التفتيش عما سواها، ولا سيما الأشياء أو الأمور التي تخصك من حقل، فهو التجسس، أن تبالغ في استعمال حواسك ظاهرة وباطنة لتجد ضالتك المنشودة، وهكذا يأمر يعقوب بنيه.

﴿... أَذْهَبُوا﴾ إلى مذاهب التجسس ومظانته ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ فكبيرهم لا يتحسس فإنه في نفس الأرض التي تركتموها، وأخي يوسف الموقوف عند العزيز لا يدرى مسيره ومصيره فليسأل عنه العزيز، ويوسف نفسه يسأل عنه العزيز وغير العزيز، فالمذهب الأول في ذهابكم هو العزيز وكما ذهبوا إليه.

﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا... وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ كما يئتم لحد تنصحووني ألا أذكر يوسف، فروح الله غير ما يوس منه إلا لمن يكفر بالله، أو يستر عن معرفة الله بروحه ورحمته: ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾<sup>(١)</sup>.

الروح والروح هما من أصل واحد هو الحياة، واختص الأولى بالنفس كلها، والثانية بنفسها وراحتها، وللروح كما الروح نسبة إلى الإنسان وأضرابه كما في الواقعة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> وأخرى إلى الله كما هنا ﴿رَوْحِ اللَّهِ﴾ تنفيساً منه عن كرب، كمن يتنفس عن خنق، فيستريح بعد عذاب، فروح الله - إذاً - هي رحمته بعد نعمته، بتنفيسه بعد خنقه وحنقه لخلقه، حيث الروح هو تنسيم الريح التي يلذ شميمها ويطيب نسيمها، فشبّه الفرج الذي يأتي بعد الكربة ويطرق بعد

(١) سورة الحجر، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

اللزبية، بنسيم الريح الذي ترتاح القلوب له وتثلج الصدور به، وكما يروى أن «الريح من نفس الله» أي من تنفيسه عن خلقه، وهذا روح في الظاهر، ومن ثم روح في الباطن ينسم على الرّوح نسمة الراحة بعد الكربة.

فالكافرون بالله بدركاته آيسون من روح الله بعد كربه، ولكنما المؤمنون بالله بدرجاتهم لا يياسون من روح الله ورحمته، ولو أحاط بهم كل كربة ومصيبة، مستظلين في ظل روحه من الكرب الخانق حيث ينسم على أرواحهم من نسمة روح الله الندي، حيث يشعرون في طمأنينة بنفحاته المحيية الرخية المنقّسة عن كل كرب.

وروح الله المستكن في أبدان المؤمنين، هو الكافل لروح الله، روح في روح وروح يضمن الروح، فهما لصق بعض في المؤمنين، كما هما منفيان عن الكافرين! أجل و«الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم مكر الله»<sup>(١)</sup> فإن القنوط من رحمة الله في حد الكفر بالله، فهو من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْضُرَّ وَحَجَّنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَدَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَوَصِّدْقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾:

إنه لم يكن في أمر يعقوب أن يذهبوا إلى العزيز إلا ضمن ما يتحسس عن بنيامين عنده، فضلاً عن أن يكتب إليه بكتاب يمسه من كرامة النبوة والإيمان كما يهرفه المحرّفون الخارفون، فضلاً عن أن يطلبوا إليه تصدقاً عليهم شكوى إليه من الضر الذي مسهم وأهليلهم، وهم في هذا اللقاء لم

(١) نور الثقلين ٣: ٤٥٦ عن نهج البلاغة عن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٢) المصدر في الفقيه في باب معرفة الكبائر التي أوعدها الله تعالى عليها النار عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام، بعد أن ذكر الشرك بالله وبعده اليأس من روح الله لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكُمْ لَا تَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].